

عَقَائِكُ قَرِيبَتِي

اسم الكتاب: عقائل قريش

تأليف: سعيد الديوه جي

الطبعة الأولى: ٢٠١٣ م - ١٤٣٤ هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-614-424-035-9



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد الحاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط ١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

عَقَائِلُ قُرَيْشٍ

تأليف

سعيد الديوه جي

الدار العربية للموسوعات
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

شاركت المرأة المسلمة الرجل في مختلف نواحي الحياة، ونبغ عدد كبير منهن في العلم والسياسة والأدب والفن، وأخبارهن مشتتة في مختلف الكتب، وقلما يجد الباحث تراجم مستقلة لهن.

وقد عازمت على أن أخرج سلسلة في تراجم بعضهن، وبدأت بعقائل قريش، فترجمت لأربعة منهن، وهنّ السيدات: سُكينة بنت الحسين، وزُبيدة بنت جعفر، وعُلية بنت المهدي، وولادة بنت المستكفي. والله تعالى أسأل العون والتوفيق في إتمام ما بدأت.

سعيد الديوه جي

المدينة المنورة في القرن الأول الهجري

كان القرن الأول الهجري من أزهى العصور التي مرّت على
المدينة المنورة، ظهر فيها حوادث خطيرة، وانقلاب في الدين
والسياسة والعلم والأدب والفن.

هاجر إليها الرسول ﷺ واتخذها دار دعوته، فسطع فيها نور
الإسلام، وأضاء للعالم سبل الهداية، فبدد ظلمات الجهل والشرك.
وإليها جاءت الوفود من مختلف الأقطار، تدخل في دين الله
أفواجا، وتجيب داعي الله.

وفي المدينة انصبت كنوز القياصرة والأكاسرة بما أفاء الله على
عباده من الغنائم، فأثرى أهلها بعد فقر، ونعموا بعد شظف العيش.
ذاق العرب حلاوة الحكم، فتطاحت الأسر القريشية عليه،
خاصة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وفاز الحزب الأموي
بالحكم بعد نضال عنيف، وخضع الناس لهم رغبة في عطاياهم
الوافرة، وهباتهم الكثيرة أو رهبة من سيوفهم البتارة، وولاتهم
الأشداء.

اقتضت سياسة الأمويين أن يقصروا أولاد قريش في الحجاز،

وأن يشغلهم بملذات الدنيا ونعيمها، بما أفاضوه عليهم من الأموال ما ألهاهم وأبعدهم عن التدخل في الحكم وشؤونه.

اجتمع في شباب قریش الشباب والفراغ والجده، فكان الهوى والأمل المنشود، وكانت مجالس الأنس والطرب، والشعر والأدب، تعقد في وادي العقيق، وحول الغدران، وتحت النخيل.

ظهر عمر بن أبي ربيعة، وحمل لواء الغزل الإباحي العفيف، فالتف حوله فتیان قریش، وانتشر هذا في الحجاز، فترنم به الشبان، وغنت به القيان، وأنشده الكهول، واهتز له الشيوخ والزهاد، فابن عباس - وهو من نعلم علمه وزهده وقربه من رسول الله (ﷺ) - كان يسمع من ابن أبي ربيعة شعره في المسجد الحرام ويهتز له.

قال سفيان بن عيينة: أتينا مرة «مسعر بن كدام» فوجدناه يصلي، فأطال الصلاة جداً، ثم التفت إلينا مبتسماً فأنشدنا:

ألا تلك عزة أقبلت ترفع نحوي طرفاً غضيضاً
تقول مرضنا فما عدتنا وكيف يعود مريض مريضاً؟
فقلت: يرحمك الله بعد هذه الصلاة هذا؟! قال: نعم مرة هكذا،
ومرة هكذا.

وسئل أبو السائب المخزومي: أترى أحداً لا يتمنى النسيب؟
قال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا.

وسمع عطاء بن أبي رباح - فقيه المدينة - رجلاً ينشد قول جرير:
إن الذين غدوا بلبك غادوا وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟
فاضطرب اضطراباً شديداً، ودخلته أريحية، فحلف ألا يكلم

أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر، فكان كل من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو خبر من الأخبار، لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى رجليه على الأخرى وينشد البيتين حتى المغرب.

وتغزل ابن أبي ربيعة ومن سار على نهجه، بكل فتاة وقعت في قلوبهم، وصار هذا الغزل واسطة للدعاية والشهرة، فرغب به الفتيات واتخذنه واسطة للتنويه بهن، حتى بذلن الرغائب في ذلك، فتغزل الشعراء بنات قريش دون تورع أو حذر.

حجت بنت لعبد الملك بن مروان، وكانت ترغب أن يقول فيها ابن أبي ربيعة شعراً، ولكن الحجاج هدّده بالقتل إن فعل، ولما همت بالرجوع قالت: قدّمن إليكم حجاجاً، فأقمنا أشهراً، فما استطاع الفاسق عمر ابن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلهو بها في سفرنا هذا، وبلغ عمر ذلك، فقال فيها قصيدته التي أولها:

راع الفؤاد تفرق الأحباب يوم الرحيل فهاج لي أطرابي
ولما حملت إليها، أعطت لحاملها في كل بيت عشرة دنانير.

وحياة البذخ والترف، تستدعي اللهو والطرب، فانتشر الغناء في المدينة، حتى صارت المدينة مهد الغناء، ونبغ فيها عشرات المغنيين والمغنيات الذين برعوا في صناعتهم، وتغنوا بألحانهم، ووضعوا أصواتاً لم تكن معلومة عند العرب من قبل، واستعملوا من آلات الطرب: العود والبربط والقضيب والمزهر والدف، وكانت «جميلة» المغنية عبارة عن مدرسة فنون يتخرج منها المغنون والمغنيات.

وصار فقهاء المدينة يتساهلون في سماع الغناء، بعكس فقهاء الشام والعراق، ولم يبق في المدينة شريف ولا وضيع يتحاشى الغناء، حتى الزهاد فإنهم كانوا يسمعون ويهتزون له.

كان حسان بن ثابت - شاعر رسول الله ﷺ - إذا سمع عزة الميلاد يبكي.

ومرّ سعيد بن المسيب بدار العاص بن وائل وجارية تقول:
تضوع مسكا بطن نعمان إن مشت به زينب في نسوة عطرات
فضرب برجله على الأرض، وقال: هذا ما يلذ سماعه.
وكان معبد يغني في مسجد لمالك بن السمح، وكان يسمع منه
ولا ينكر عليه. وبلغ معبداً أن قتيبة بن مسلم الباهلي فتح خمس مدائن
فقال: لقد غنيت بخمسة أصوات هي أشد من فتح المدائن التي
فتحتها.

ومرّ بالأوقص المخزومي سكران وهو يتغنى بليل، فأشرف عليه
الأوقص وقال له: يا هذا «أتيت حراماً، وأيقظت نياماً، وغنيت خطأ،
خذه عني، وأصلح له الغناء».

قال رجل لابن جعدويه: يا أبا الحكم: الرجل يشدو بالأصوات ما
ترى فيه؟ قال: سبحان الله! كنا إذا أتت على الرجل أربعون سنة ولا يحسن
عشرة أصوات، عددناه من أهل بقيق الغرقد - يعني الموتى -.

وسمع أبو السائب المخزومي، الذلفاء - إحدى مغنيات المدينة
- تغني:

لهن الوجاء، لم كنا عوناً على الهوى ولا زال فيها ضايع وكسير
كأنني سقيت السم يوم تحملوا وجد بهم حاد، وحن مسير
فقال أبو السائب لأبي دهب - وكان معه - نحن والله على خطر
من هذا الغناء، فنسأل الله السلامة، وأن يكفيننا كل محذور. فما آمن
أن يهيج بي على أمر يهتكني، وجعل يبكي وانصرف.

وسمع ابن سلمة يغني :

تجنت بال جرم، وصدت تغيظاً وقالت لتربيتها مقالة عاتب
سيعلم هذا أنني بنت حرة سأمنع نفسي من ظنون كواذب
فقولني له : عنا تنح، فإننا أبيات فحش، طاهرات المناسب
فجعل أبو السائب - يزفن - يرقص ويقول: أبشر جيبني، فلا
أنت أفضل من شهداء قزوين.

قال معبد: أتيت أبا السائب المخزومي - وكان يصلي في كل
يوم وليلة ألف ركعة - فلما رأيته تجوز وقال: ما معك من مبكيات ابن
سريع؟ فقلت له :

ولهن بالبيت العتيق لبانة والبيت يعرفهن لو يتكلم
لو كان حياً قبلهن طعائناً حيا الحطيم وجوههن وزمزم
لبثوا ثلاث مني بمنزل غبطة وهُم على سفر لعمر ك ما هم
متجاورين بغير دار إقامة لو قد أجدّ تفرق لم يندموا
فقال لي : غنه. ثم صلي وتجوّز إلي وقال : ما معك من مطربات
ومشجيات؟ فقلت : قوله.

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظل المطي معقلا
فقال لي : غنه، فغنيتها. ثم صلي وتجوّز وقال : ما معك من
مرقصاته؟ فقلت :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى
فقال : كما أنت حتى أتحرّم لهذا بركتين.
واقترضت مجالسهم انتشار الظرف والملح بين سائر الطبقات.

قال عبد الملك بن الماجشون: كنا بالمدينة وإن الرجل يحدثني بالحديث من الفقه فيمله عليّ. ويذكر الخبر من الملح فاستعيده، فلا يفعل ويقول: لا أعطيك ملحي، وأهبك ظرفي وأدبي. ويقول ابن الماجشون: أني لأسمع الكلمة المليحة، وما لي إلا قميص واحد، فأدفعه إلى صاحبها، وأستكسي الله ﷻ. وصار ظرف عباد الحجاز مما يضرب به المثل كان أبو حازم يوماً يرمي الجمار، فإذا هو بامرأة حاسر قد فتنت الناس بحسن وجهها، وألتهتهم بجمالها. فقال لها: يا هذه إنك بمشعر حرام، وقد فتنت الناس، وشغلتهم عن مناسكهم، فاتقي الله واستتري، قالت إني ممن عناهن الشاعر بقوله:

من اللائي لم يحججن يبين حجة ولكن ليقتلن البريء المغفلا
فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندعو الله لهذه الصورة الحسنة، ألا يعذبها في النار. فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون، فبلغ الشعبي ذلك، فقال: ما أرقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم، أما والله لو كان من أهل العراق لقال لها: أغربي عليك لعنه الله.

وروى العتبي قال: خرجت حاجا، فلما مررت بقباء تداعى الناس ألماً وقالوا: الصقيل الصقيل، فنظرت فإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل، فلما رميناها بالحدق ألقى البرقع عن وجهها، فقلت يرحمك الله، إنا سفر وفينا أجر، فامتعينا بوجهك، فانصاعت وأنا أرى الضحك في عينيها وهي تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال سفيان بن عيينة: بينما أنا بالكعبة، إذ رأيت أبا السائب - وكان من العلم والدين بمكان - متعلقاً باستار الكعبة وهو يقول: اللهم ارحم العاشقين، وقوّ قلوبهم، واعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة عليهم يا أرحم الراحمين، ثم أنشد يقول:

يا هجر كفّ عن الهوى، ودع الهوى للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم قرحى، وحشو صدورهم جمر
وسوابق العبرات بين خدودهم درر تفيض كأنها القطر
متحيرين من الهوى ألوانهم - مما تكن صدورهم - صفر
فقلت: يا أبا السائب، في مثل هذا المقام تقول هذا المقال؟
فقال: إليك عني يا أبا محمد. فوالله للدعاء لهم في مثل هذا الموضع أفضل من حجة وعمرة.

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عثمان بن حبان المري: أحص
المخنثين، فوقعت فوق الحاء نقطة، فأخذهم وخصاهم، وفيهم
(الدلال) فبلغ ذلك ابن أبي عتيق، وقد قام إلى الصلاة فقال: أو قد
خصي الدلال؟ إنا لله، لقد كان يحسن أن يغني:
لمن طلل بذات الجيش أمسى دارساً خلقاً.

ثم دخل في الصلاة، فلما فرغ من قراءة أم الكتاب، قل: السلام
عليكم، وكان يحسن هذا الشعر ولا يحسن ثقيله.

نرى بجانب هذا كله، حركة علمية قوية في طيبة، لا نجد لها
مثيلاً في غيرها من بلدان الإسلام، لأنها كانت المهبط الثاني للوحي،
بها نزل التشريع، وفيها فصلت أحكامه، وبها عقدت مجالس رسول
الله ﷺ ومجالس أصحابه من بعده، فكان فيها العبادة وأخبار هذه

الأمة من الصحابة والتابعين، وصارت هذه المدينة قبلة العلماء، ومحط ركبان طلاب الفقه والتفسير والحديث والمغازي.

فإذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ هالك ما تجده فيه من الحلقات العلمية المتعددة في فنائه الواسع، حلقات الصحابة الكرام يفسرون للمسلمين كتاب الله، ويشرحون لهم ما سمعوه من رسول الله، وحلقات المحدثين، يحدثون بما سمعوه أو روه عن الرسول ﷺ، وحلقات أصحاب المغازي والسير، يقصون أحاديث اليرموك والقادسية ونهاوند وغيرها من المعارك الحاسمة، التي انتصر فيه التوحيد على الشرك، وحرر الناس من العبودية والهوان، وصاروا بنعمة الله إخواناً.

وتمتعت المرأة المسلمة - في هذا العصر - بحرية واسعة شاركت الرجل في سلمه وحربه، وسارت معه جنباً إلى جنب في ساحات الوغى، ضمدت الجروح وشجعت القلوب، وواست الجرحى، وقدمت الماء والطعام للمجاهدين، وعند اشتداد الأمر، تحمل السيف، وتلبس الدرع وتخوض غمار المعارك.

تسير جويرية بنت أبي سفيان مع أبيها إلى اليرموك، فتشارك في الحرب والضرب بنفسها، وتبعث في أبطال المسلمين المجاهدين روح الفتوة والبطولة.

وذهب خولة بنت الأزور مع أخيها إلى الجهاد في سبيل الله، فتلبس الدرع، وتقلد سلاحها، ولما رأت مصرع أخيها، قادت زمرة من الفتيات المجاهدات، وهجمت على الأعداء، فأرجعتهم من حيث أتوا، بعد أن فتكت بهم، وأشفت غليلها.

وكانت زوجة حبيب بن مسلمة الفهري، تسير معه في أرمينية، غير مبالية ببرد الشتاء، وعوة الطرق، ومشاق الجهاد. سألت زوجها - في إحدى الليالي - أين تكون غداً؟ فقال لها: إما في خيمة طاغية القوم أو في الجنة. فيشتد القتال في الصباح، ويهجم حبيب على الأعداء، ولا يقف إلا في خيمة الطاغية، فيجد زوجته قد سبقته إليها. وبلغ من وثوق المرأة من نفسها - في هذا العصر - أنها كانت تجلس لخطابها، فتناقشهم وتجادلهم، وربما فدت أحدهم بنفسها. واشتغل بعضهن بالكتابة للخلفاء والأمراء، فكان لعبد الملك بن مروان جوار يكتب بين يديه، كما كان للحجاج بن يوسف جارية تكتب له.

وحضرت المرأة المساجد، فصلّت مع الرجل، واستمعت إلى ما يقوله الخطباء، وربما اعترضت على أجل الخلفاء، فيستمع إليها، ويعمل برأيها: فبينما كان عمر بن الخطاب يوماً على المنبر يخطب على تحديد مهور النساء، قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، فمن زاد ألقى الزيادة في بيت المال. فقالت له امرأة من صف النساء: ما ذاك لك! قال: لم؟ قالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَتَيْنَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ قال عمر: امرأة أصابت، ورجل أخطأ.

وحضرت مجالس العلم والأدب، فكان منهن العالمات اللاتي تشد إليهن الرحال، ويأخذ عنهن من أجل الصحابة والتابعين.

وكانت حلقات العلم والأدب يترأسها في المدينة المنورة عقائل من قریش، فتجري فيها المساجلات الأدبية، والمناظرات الفقهية، ويحتكم اليهن الشعراء، فهي أشبه ما تكون بنوادي للعلم والأدب

والفن. ونداوتهن مفتوحة لكل قاصد، فهي أشبه ما تكون بنوادي للعلم والأدب. وممن برزن في هذا: السيدة سكينة بنت الحسين، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وعائشة بنت طلحة، وغيرهن كثير.

فهرس المحتويات

المقدمة	٥
المدينة المنورة في القرن الأول الهجري	٧
سُكينة بنت الحسين ٤٧-١١٧هـ	١٧
نشأة سُكينة	١٨
ندوتها	٢٢
مزاحها وتهكمها	٢٧
ميلها للفنون	٣١
تأثيرها في المجتمع	٣٢
وفاتها	٣٤
عُلية بنت المهدي ١٦٠-٢١٠هـ	٣٥
عُلية والرشد	٣٧
غناؤها	٤٣
شعرها	٤٦
عفافها	٥٤

٥٧	زُبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ ١٤٧-٢١٦ هـ
٦٨	ثروتها
٦٨	١ نهر الهنيء والمريء
٦٩	٢ نهر الصلح
٦٩	٣ قطيعة أم جعفر
٦٩	تحفها
٧٠	مشاريعها العمرانية
٧١	١ عين زُبَيْدَة
٧٢	٢ طريق الحج
٧٣	٣ رباط زُبَيْدَة وحصنها في طريق البزخشاني
٧٤	٤ وجاء في دائرة المعارف للبستاني
٧٤	٥ دار القوارير
٧٤	تأثيرها في المجتمع
٧٦	إجلالها العلماء
٧٧	أدبها
٨٣	حبها للغناء
٨٦	وفاتها
٨٩	ولادة بنت المستكفي ٣٨٠-٤٨٠ هـ
٩١	ندوتها
٩٢	ولادة وابن زيدون
٩٥	شعرها